# من يحمل همّ الدين

كتبه محمد الصغير السبت ١٨ صفر ١٤٤٣

عندما نقرأ القرآن يطالعنا مشهد غريب جدا, غير متناسق مع ما سبقه من أحداث, فنحن أمام مؤمنين ظاهريا نصرهم الله واجتازوا المحن الصعبة مع نبي كريم, وبعد كل هذا يعلنون عصيان نبيهم والعياذ بالله

**﴿ قالوا يا موسى إِنّا لَن نَدخُلَها أَبَدًا ما داموا فيها فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدونَ ﴾**

المائدة: ٢٤

لا حول ولاقوة إلا بالله !

ما الخطب؟

ما الذي حدث؟

أليسوا هم أنفسهم من تحملوا الابتلاء الشديد الذي وصفه الله في قوله

**﴿ فَلَمّا جاءَهُم بِالحَقِّ مِن عِندِنا قالُوا اقتُلوا أَبناءَ الَّذينَ آمَنوا مَعَهُ وَاستَحيوا نِساءَهُم وَما كَيدُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ ﴾**

غافر: ٢٥

فآمنوا مع موسى صلى الله عليه وسلم برغم الخوف والقلة

**﴿ فَما آمَنَ لِموسى إِلّا ذُرِّيَّةٌ مِن قَومِهِ عَلى خَوفٍ مِن فِرعَونَ وَمَلَئِهِم أَن يَفتِنَهُم وَإِنَّ فِرعَونَ لَعالٍ فِي الأَرضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ المُسرِفينَ ﴾**

يونس: ٨٣

وصبروا وثبتوا مع موسى حتى جاوز بهم البحر وأغرق عدوهم

**< فَلَمّا تَراءَى الجَمعانِ قالَ أَصحابُ موسى إِنّا لَمُدرَكونَ۝قالَ كَلّا إِنَّ مَعِيَ رَبّي سَيَهدينِ۝فَأَوحَينا إِلى موسى أَنِ اضرِب بِعَصاكَ البَحرَ فَانفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرقٍ كَالطَّودِ العَظيمِ۝وَأَزلَفنا ثَمَّ الآخَرينَ۝وَأَنجَينا موسى وَمَن مَعَهُ أَجمَعينَ۝ثُمَّ أَغرَقنَا الآخَرينَ >**

الشعراء: ٦١-٦٦

أفبعد كل هذا يتجرأون على معصية رسول الله ويراجعهم فيصرون على معصيته

**< وَإِذ قالَ موسى لِقَومِهِ يا قَومِ اذكُروا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ جَعَلَ فيكُم أَنبِياءَ وَجَعَلَكُم مُلوكًا وَآتاكُم ما لَم يُؤتِ أَحَدًا مِنَ العالَمينَ۝يا قَومِ ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَلا تَرتَدّوا عَلى أَدبارِكُم فَتَنقَلِبوا خاسِرينَ۝قالوا يا موسى إِنَّ فيها قَومًا جَبّارينَ وَإِنّا لَن نَدخُلَها حَتّى يَخرُجوا مِنها فَإِن يَخرُجوا مِنها فَإِنّا داخِلونَ۝قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذينَ يَخافونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادخُلوا عَلَيهِمُ البابَ فَإِذا دَخَلتُموهُ فَإِنَّكُم غالِبونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلوا إِن كُنتُم مُؤمِنينَ۝قالوا يا موسى إِنّا لَن نَدخُلَها أَبَدًا ما داموا فيها فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدونَ >**

المائدة: ٢٠-٢٤

فما السر في ذلك؟

إنه الذل !!

نعم إنه الذل الذي تربوا عليه مع فرعون، ذل يجعلهم يستأنسون العذاب فقد اعتادوه حتى صار جزءا منهم.

يسومهم فرعون أشد العذاب، قتل الأولاد واستبقاء البنات، ومع ذلك هم يعتبرون ذلك مجرد أذية واقرأ قولهم مخاطبين موسى

**< قالوا أوذينا مِن قَبلِ أَن تَأتِيَنا وَمِن بَعدِ ما جِئتَنا قالَ عَسى رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِي الأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلونَ >**

الأعراف: ١٢٩

انظر إلى وصفهم لذلك العذاب الشديد، مجرد أذية لا غير، لذلك اعتادوه لم يعد يؤثر فيهم أو يهمهم.

إن الذل مرض خطير إذا تمكن من المرء لن شيء مهما كان, فهؤلاء رأوا الآيات رأي العين, ومع ذلك بقي الذل يتملكهم فلما أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم, وبشرهم بأن الله سيجعل منهم ملوكا وأنبياء أجمعوا على معصيته إلا رجلان منهم وحسب

لأنه لا يمكنهم أخذ زمام المبادرة, أو التحرك, لقد اعتادوا أن يكون في الحضيض لا في القمة, لذلك فكرة أن يهجموا ويبادروا ويكونوا في المقدمة ليس وجود عندهم ولا يمكن تصورها أصلا, فهي خارج قاموسهم

تبرير الذل والخنوع جاهز ولو لم يكن مقنعا

**< قالوا يا موسى إِنَّ فيها قَومًا جَبّارينَ وَإِنّا لَن نَدخُلَها حَتّى يَخرُجوا مِنها فَإِن يَخرُجوا مِنها فَإِنّا داخِلونَ >**

المائدة: ٢٢

فهذا أسخف تبرير, فهم قد رأوا كيف نجاهم الله من فرعون الجبار وأذله وأغرقه, ولكن هم أخذوا القرار بالمعصية ولن يطيعوا أبدا, لأنهم أذلة والذليل يستوحش العزة

بدلا من هذه الصورة القاتمة نرى في سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم صورة أخرى مشرقة, حينما يختلط الإيمان بعزة النفس فيثمر جيلا فريدا وهذا ما كان مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد كان العقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار أن يحموه داخل المدينة, فلما كانت غزوة بدر وكانت خارج المدينة, أراد معرفة رأي الأنصار تحديدا فالحماية خارج المدينة لم تكن في بيعة العقبة وهنا انبرى خطيب الأنصار يتكلم باسمهم قائلا

عن طارق بن شهاب, قال: قال عبد الله بن مسعود:

«لقد شهدت من المقداد مشهدا, لأن أكون أنا صاحبه, أحب إلي مما على الأرض من شيء, قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم, وكان رجلا فارسا, قال: فقال: أبشر, يا نبي الله, والله, لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى صلى الله عليه وسلم: {اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون}

, ولكن والذي بعثك بالحق, لنكونن بين يديك, وعن يمينك, وعن شمالك, ومن خلفك, حتى يفتح الله عليك»

أخرجه أحمد والبخاري والنسائي

إن الأنصار قوم كرماء لهم عزة نفس قبل الإسلام, أهل حرب وشدة لا يقبل الذل مهما تعرضوا له من محن, ولذلك أثمر فيهم الإيمان فأخرج ذلك الجيل الفريد الذي لم يتكرر أبدا في التاريخ

إن همّ الدين لا يحمله ذليل خوار, ولذلك لما عصى قوم موسى كانت العقوبة التيه في الأرض أربعين سنة حتى يخرج جيل جديد لم يتعود الذل الذي تعوده آباؤه مع فرعون

**﴿ قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم أَربَعينَ سَنَةً يَتيهونَ فِي الأَرضِ فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الفاسِقينَ ﴾**

المائدة: ٢٦

وفعلا هذا الجيل الجديد هو من قاتل مع يوشع عليه السلام وفتح الله لهم.

إن خلاصة ما سبق أنه لن نستطيع اليوم إقامة الدين بأقوام تجرعوا الذل واعتادوا عليه من قبل طواغيتهم, ولذلك علينا أن نركز جهودنا على قوم كرماء النفوس, لأنهم هم من تثمر في نفسوهم بذرة الإيمان.